الخلع من قانون الأحوال الشخصية الجديد

الخلع ماهو بين الشريعة والقانون

الخـــــلع

من قانون الأحوال الشخصية الجديد

ما هو بين الشريعة والقانون

تمهيد:

حينما تقول المرأة لزوجها طلقني!

طلب المرأة من زوجها الطلاق من غير بأس يعد نشوزا، والنشوز هو خـــروج عن الحياة الزوجية المستقيمة التي تطيع المرأة فيها زوجها، وتحفظ بيتـــها، وترعـــى أولادها.

والناظر في حياتنا الاجتماعية يجد أن المرأة اليوم تسارع إلى طلب الطلاق وهـــذا الطلب يسمى في الشرع خلعا- أي أن تدفع المرأة شيئا مقابل تطليقها. وقد تتنـــازل المرأة عن بعض حقوقها أو عن حقوقها كلها، ويسمى طلاقـــاً على الإبراء وأحيانـــا ما تكون المرأة جادة في طلب الطلاق وأحيانـــاً أخرى هازلة، وقد تحتال المـــرأة في طلب الطلاق، وتتهم الرجل بما ليس فيه، فتجعل الحياة الزوجية لا استقرار فيـــها ولا أمان، وربما تهدم أسرتها بكلمة واحدة تنطقها في لحظة طيش أو غضب كما ســـيتضح فيما يلي إن شاء الله:-

طلب الطلاق بين الجد والهزل:

المرأة حين تطلب من زوجها الطلاق، إما أن تكون جادة أو هازلة، ويجـــب أن يفهم الرجال الفرق بين الحالين، فحين تقول المرأة لزوجها "طلقني" فمعنى هذا أنهـــا تتدلل عليه، وتريد أن تختبر مكانتها عنده، وكأنها تقول له: فلننظر! هل أنت مـــازلت تحبني وتتمسك بي، أم تريد أن تتخلص مني، وتنتظر من يفتح لك الطريـــق بطلـــب

الطلاق؟ ولذلك حين يتماسك الرجل ويضبط أعصابه، ولا ينطق بكلمـــة الطـــلاق البغيضة، فإن المرأة تسر جدا، إذ يتأكد لديها أنَّ زوجها راغب فيها، ولا يستطيع أن يستغني عنها.

أما حين تقول المرأة لزوجها "لو كنت رجلاً طلقتني"- كما يشـــيع في بعـــض مجتمعاتنا في أفواه النساء فمعنى هذا أنها تطلب الطلاق حقيقة، وجدا لا هزلا، بـــل هي تريد أن تطعن الرجل بكلمة حادة تشكك في رجولته، وذلك لتدفعه دفعـــا لأن يثأر لكرامته وينطق بكلمة الطلاق البغيضة التي تريدها هي. وفي الغالب تكون المـرأة قد ذاقت من زوجها الأمرين، ويئست من إصلاح حاله، بل سقط من نظرهـــا، ولم تعد تراه رجلا يستحقها فعلا، وهنا لا تتورع عن أن تطعنـــه في كرامتـــه بالكلمـــة القاسية " لو كنت رجلا طلقني" فالرجل إن لم يطلقها يكون قد أقر بأنه ليس برجـل، وهذه أكبر إهانة له، وإن طلقها يكون قد أعطى للمرأة ما تريد، فهي في الحالين تهـزم الرجل: إما بهزيمة في رجولته، أو بهدم بيته بيده.

وقلت بأن الحالة الأولى هي أن تكون قد رأت منه الأمرين ويمكـــن أيضـــا أن يكون الشيطان قد لعب بعقلها الذي وصفه رسول الله ﷺ بالنقص وقد يكون لهـــا رجلٌ آخر تحبه وتكره زوجها وتريد أن تتخلص منه بالطلاق وذلك قليل فالغـــالب هو مشي الشيطان معها إلى أعلى خطواته وهو أن تقتل زوجها ومن يطالع الجرائـــد اليومية يبكي دما بدل الدمع على حال الأمة ولا حول ولا قـــوة إلا بـــالله العلـــي العظيم.

ومن المؤسف أن المرأة تعلمت الإكثار من هاتين الكلمتين في مجتمعاتنا في كـــل خلاف بين الزوجين أو مشاجرة عارضة، حتى أن أحد أصدقائي أخبرني أن زوجتـــه تطلب منه الطلاق بمعدل مرة كل يوم!!

وهذه سوءة تعلمتها بعض النساء من الأفلام السينمائية ذات القيـــم المريضـــة، حين تضع المرأة يديها على خصرها وتتنمر قائلة للرجل بأعلى صوتها: "طلقـــني" ولم تكن هذه هي حال الصالحات من هذه الأمة اللآئي كنَّ يتجملن بالصبر مـــن أجـــل حفظ بيوتهن من الانهيار وأولادهن من التشرد. وهذه الحياة الزوجية تحـــت ســـيف الطلاق المسلط، تصير لا أمان فيها ولا استقرار، وما جعل الله الـــزواج إلا مـــودة ورحمة، كما قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَـلَ بَيْنَكُـم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم / ٢١)

والمرأة التي تطلب الطلاق من زوجها على هذه الصورة هى امرأة ضعيفة العقـــل لا تثق بنفسها، لأنها تريد أن تختبر تمسك زوجها بها بأخطر وسيلة وهي الطلاق، فلـــو تهوَّر الزوج ونطق بكلمة الطلاق، تذهل المرأة وتنهار وتبكي، وتجعل اللوم كله علـــى الرجل، وتقول إنها لم تكن تقصد الطلاق، وإنها ما عنت إلا اختبار عواطف زوجـــها نحوها، وأنَّه هو استغل الفرصة، وسارع في الاستجابة، وأن لو كان يريد اســـتمرار حياتها الزوجية لما نطق كلمة الطلاق. وتنسى المرأة أنه ليس كل رجل يفهم ما تريـــد بكلامها وأن ليس كل رجل يضبط أعصابه في هذا الموطن.

احتيال المرأة للطلاق:

قد تعدل المرأة عن طلب الطلاق من زوجها مباشرة، رغبة منها في الهروب مـــن مخالعته أو إبرائه. والمخالعة تعني الطلاق على مال تدفعه المرأة للرجل، كما ســـيأتي، والإبراء يعني تنازل المرأة عن حقوقها في المتعة والنفقة ومؤخر الصـــداق أو بعـــض ذلك. والمرأة هنا تطلب الطلاق من ولي الأمر، وتدَّعي الضرر من المعاشرة الزوجيـــة، وتجترئ على أن ترمي زوجها بما ليس فيه لتبرير طلبها الطلاق، وهذا كثير في أيامنـــا

هذه التي يصبغها النهم المادي، وتغيب فيها القيم الإسلامية عند بعض النساء.

وقد وقع في عهد النبي ﷺ أن صحابيا يدعى أبا ركانة، نكح امرأة من مزينـــة، فجاءت إلي النبي ﷺ فقالت عن زوجها: "ما يغني عني إلا كما تغـــني عـــني هـــذه الشعرة([1]) (لشعرة أخذتها من رأسها). ففرق بيني وبينه". فأخذت النبي ﷺ – حميـة، فدعا بركانة وإخوته، ثم قال لجلسائه: "أترون فلانا (يعنى ولدا له) يشبه منـــه كـــذا وكذا من عبد يزيد، وفلانا (لابنه الآخر) يشبه منه كذا وكذا؟ قالوا: نعم: قال النـبي ﷺ – لعبد يزيد(أي أبي ركانة): طلقها ففعل([2]) والظاهر في هذا الحديـــث أنـــه لم يثبت عند النبي ﷺ – ما ادعته المرأة من العنة لأنها خلاف الأصل، وهـــو ســـلامة الرجل من هذا العيب، ولأنه– ﷺ تعرف أولاد أبي ركانة بعلم القيافة ([3]) وســـأل عنها أصحابه ﷺ ، فثبت عند النبي ﷺ – أنه ليس عنيناً، فأمره بالطلاق، ليس إيجابـا عليه، ولكن إرشادا إلى أنه ينبغي له فراقها حيث طلبت ذلك منه([4]).

وأمام هذا الاحتيال تتعجب حين نسمع بعض الناس يريدون جعل الطلاق مـــن حق المرأة كما هو من حق الرجل، فيخالفون شريعة الله المحكمة التي تجعل الطـــلاق بيد الرجل وينسون أن كون الطلاق بيد الرجل يجعل المـــرأة عزيـــزة مكرمـــة، لأن الرجل هو الذي يتمسك بها، كما يتغافلون عن أن المرأة مرهفة الحس، قوية العاطفة، يجرحها أقل شيء يصيب كرامتها الأنثوية، فلو كان الطلاق من حقها لسارعت إليـــه كلما رأت من زوجها عبوسا أو إعراضا، وكلما سمعت منه مالا تحب ولا ترضى.

---

[1] – هذا التعبير كناية عن العنه، أي برود زوجها، وعدم قدرته على الجماع.

[2] – أخرجه أبو داود عن ابن عباس.

[3] – القيافة: علم تتبع مشابهة الولد لأبيه عن طريق العلامات الخلقية الموروثة الظاهرة والخفية.

[4] – سبل السلام (٣/ ١٠٢١- ١٠٢٢)

حرمة طلب الطلاق دون بأس

المتقرر عند الفقهاء أنه يحرم على المرأة أن تطلب الخلع (أي الطلاق أو الفسخ على خلاف في ذلك بين الفقهاء)، إلا أن تبلغ درجة من الضرر تخاف معها ألا تقيم حدود الله في نفسها أو في حقوق زوجها، كما قال تعالى:

﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة : ٢٢٩)

والخطاب في الآية متوجه إلى الحكام وولاة الأمور والوسطاء بين الزوجين للإصلاح، وحدود الله هي المعاشرة بالمعروف على ما يقتضيه الشرع، ويأتي الخوف من ألا يقيم الزوجان حدود الله . هنا من أن تستخف الزوجة بحق زوجها وتعصيه، وربما قالت المرأة لزوجها: لا أطيع لك أمرا، ولا أغتسل لك من جنابة، ولا أبرلك قسمًا، فأنا أكرهك ولا أحبك، فطلقني"([1]).

وهذه المغاضبة من المرأة تدعو إلى ترك المعاشرة بالمعروف، واشتداد الشقاق بين الزوجين، وتعدي حدود الله تعالى. ويحذر النبي ﷺ – المرأة أن تطلب الطلاق من زوجها دون ضرورة لذلك بقوله: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة"([2]).

وهذا التحذير النبوي يعني حرمة طلب المرأة الطلاق من زوجها إن كان لا يقع عليها ضرر، أو أنه يقع عليها ضرر ولكنه أقل من ضرر الطلاق نفسه. ومن هنا ننصح المرأة ألا تطلب الطلاق من زوجها إلا أن يكون نهاية لحياة زوجية فاشلة

[1] – تفسير ابن عطية (٢/ ٢٨١)

[2] – رواه أصحاب السنن وهو صحيح.

تستحيل معها العشرة، وأن تبتعد المرأة تماما عن هذه المنطقة الخطـــرة، وألا تضـــع الرجل في معادلة قاسية طرفها الطلاق، والطرف الآخر كرامته، ومن الخير للمرأة ألا تتهور وتطلب من الرجل إثبات رجولته بتطليقها، ونقول للرجل: كن على حـــذر، ولا تتعجل في نطق كلمة الطلاق إن طلبت منك زوجتك ذلك، فهي في الغـــالب لا تريد إلا أن تشعر بحرصك عليها وحبك لها وتمسكك بها، ولو أشعرتها بذلك دائمـــا لابتعدت عن هذه الكلمة الخطيرة التي تهدد البيوت بالانهيار.

نصيحة

الطلاق أو الخلع ليس حلا:

لا يعني نجاح الزواج براءته من كل عيب، فالقاعدة الذهبية في الزواج هي أنـــه قلما يوجد زواج بلا عيوب، وأنجح زواج هو الأقل عيبا، وهو الذي يكون فيه كـــل من الزوجين على دراية بذلك وعلى استعداد لتقبل الإختلافات بينه وبين الطـــرف الآخر، وأن يحاول التوافق معه بأكبر قدر مستطاع من التفهم والتبصـــر، ولـــو أن المتزوجين أدركوا هذه الحقيقة إدراكا صحيحا لطردوا عن أذهانهم الفكرة الخاطئـــة عن الطلاق أو الخلع كعلاج، ولعمل الزوجان معا على تطوير زواجهما باستمرار في إطار من آمال معقولة يراد تحقيقها، وعيوب يتفهمها الطرفان في كل زواج نـــاجح حتى لا تغرق سفينة الزواج في بحر الحياة المضطرب.

والخطأ الأكبر الذي يقع فيه كثير من المتزوجين هو المغالاة في تصوير الخلافـــات الزوجية وأن يسارع أحدهم عند كل مشكلة زوجية إلى التفكير في الطـــلاق، وأن يقول لنفسه: إن زواجي هو أشقى زواج على وجه البسيطة، لقد حاولت الاستمرار كثيرًا، ولكنني لم أعد أحتمل، لا راحة إلا في الانفصال، فهو أهون من هذا الجحيـــم الذي أعيش فيه!!

وينسى هؤلاء أن الطلاق ما جعل إلا استثناء عندما يخفق الزوجان في العيش معا في إطار من حدود الله تعالى، وحين تستحيل العشرة الزوجية بينهما لأسباب قويـــة مفهومة، ولكن المؤسف هو أن الأغلبية من الأشخاص لا يكون الطلاق عندهـــم ردا على مشكلة حقيقية، أو وقوعا تحت ضغط أزمة قوية يكون معها استمرار الـــزواج مستحيلا! وليت هؤلاء يتأملون قول النبي ﷺ: "استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه، فإن استمتعت بها استمتعت بهـــا وبهـــا عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها"([1]).

مشكلات لا حلول لها:

حين يركب الزوج رأسه ويصر على الطلاق يتغافل عما سيجلبه ذلك من شـقاء وحزن وألم لا ينتهي له ولزوجه، ويظن كثيرون في هذه اللحظة أن الطلاق يمكـــن أن يكون حلا للمشكلات أو نهاية للمتاعب التي تصادفهم في حيـــاتهم الزوجيـــة، ولا يعلمون أن الطلاق أو الخلع تنشأ عنه مشكلات أكبر من طاقاتهم، لأنها مشـــكلات أكثرها لا حلول لها، وخصوصا إن كان هناك أولاد وأهم هذه المشكلات ما يلي:

١- **مشكلة الأولاد:** فالأطفال في حاجة إلى رعاية نفسية وتربوية ومالية بـــين الأبوين معا، والطلاق يشرد الأطفال بين الأب والأم ويجعل الطفل تائـــهًا بينـــهما، يشعر أنه ليس كغيره من الأطفال الذين ينعمون بحياة أسرية مستقرة فيـــها الحنـــان والرعاية من الأبوين، وشقاق الطلاق بين الزوجين يلقي ظلالا كثيفة علـــى نفســـية الطفل تؤثر في شخصيته وتحصيله واكتساب المهارات، كما أن أحد الأبوين يحرم مـــن الطفل حين يقيم مع الآخر، ويحرم الطفل من أحد الأبوين، وقد يحرم الإثنين مجـــازا فلقد أخبرتني فتاة في مقتبل عمرها تزوجت من شخص ولكن فصل بينهما بـــالطلاق فلما أردت أن أخفف عنها قلت: إن الله سوف ييسر لك بالزواج من شخص آخـــر

([1]) - متفق عليه

قالت: لا أحب أن يحرم ابني مني أيضا، وأحيانا ما تنشأ مفارقات محزنة، فقد يلقـــي الأب ابنه في الطريق وهو بصحبة والدته التي طلقها، فيمر كل في طريقه وكأنـــه لا يعرف الأخر، وليس بعد هذا ألم للطفل والأب والأم معا.

٢- **المشكلات الاجتماعية**: يحترم المجتمع الشخص المتزوج في حين يتخـوف من المطلق ويرفضه، وهذا طبيعي لأن الطلاق هو عمل ضد المجتمع، والمطلق يصـــير مصدر خطر للمجتمع، وصار متحرراً من هذه الناحية، ولا تعجب إذ نرى كثيرا ممن يحيطون بالمطلق يشعرون بالخوف شيئًا ما منه، ويجدون أنفسهم وقد تغيرت اتجاهـاتهم نحوه وسلوكهم تجاهه، وغلّقت أمامه أبواب كثيرة كانت مفتوحة، وســـحبت أيـــادٍ كانت ممدودة.

٣- **المشكلات الشخصية**: يفقد المطلق كثيرًا من احترام المجتمـــع فيشـــعر بالمهانة والإحباط، وحين يفكر في فشل حياته الزوجية يشعر بالغضب والحزن الـــذي لا ينتهي، كما أن حياته تتغير فيفتقد الحب والأنيس والمعين، ويحرم مما اعتاد من حيـاة منظمة مستقرة يشبع فيها حاجاته الحسية والعاطفية والمادية.

٤- **المشكلات النفسية**: يعاني المطلق آلامًا نفسية متجددة تتغذى بإحساســه بالوحدة والاغتراب والفشل. فقد ظن أن الطلاق سيعالج مشكلاته، ولكـــن علـــى العكس من ذلك أحس بلذع الواقع الأليم الجديد الذي يجتنبه فيه كثير من الأصدقاء ويتحرجون من التعامل معه أو دعوته إلى بيوتهم، كما يشعر المطلق بالشقاء وكـــذا المرأة تشعر بالشقاء، هذا الذي جلبه كل منهم لنفسه ولغيره، بأنه قضى على نفســـه وعلى طليقته وعلى أطفاله بالتعاسة التي لا علاج لها والحرمان الذي لا يمكن تعويضه غالبا.

فالطلاق أو الخلع وضع استثنائي مخالف لطبيعة الامتداد الأسري والعـائلي، وإذ

هو يهدم الأسرة، ويقطع علاقاتٍ كانت قائمة، ويفصم عرى كانت موثقـــة، وهـــو أشبه بالزلزال الذي يشق الأرض، أو الانفجار الذي يبعثر الأشياء، وكـــل مطلـــق يشعر لوقت طويل أن ذاته قد تبعثرت بعد زلزلة عظيمة ويحتاج إلى وقت طويل كـــي يجمع أجزاءه ولكي تلتئم جروحه، ولكن الأمر كثيرًا ما يكون كما قال شاعرنا:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرح اللسان

٥- **المشكلات المادية**: يظن بعض الأزواج أن الطلاق مجرد كلمة ينطقونهـــا، ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير، إذ ينشأ عن الطلاق واقع جديد يكلف الرجل مـــن ماله ونفسه وراحته كثيرًا جدًا، فيترتب عليه أن يدفع للمرأة مؤخر المـــهر، ونفقـــة العدة، ومتعة الطلاق، وهي تأخذ المنقولات والأثاثات، فإن كان لها ولد أضيـــف إلى ذلك أن يوفر المطلق مسكنًا أو يدفع أجر مسكن بالإضافة إلى أجر حضانـــة لـــلأم ونفقة للصغير إلى أن يبلغ.

وإذا كانت المرأة لا تدفع في الطلاق عادة مالاً، إلا إنها تخسر من حياتها ومســـتقبلها أكثر مما يخسر الرجل، وخصوصًا في مجتماعاتنا التي فقدت نظرة الرحمـــة للمطلقـــة والرعاية لها.

وأمام هذه الحقائق لا يتردد أحد من خبراء الزواج في التأكيد على أنه ليـــس في الطلاق حل لمشكلات زوجية، ولا علاج لخصومات في الأسرة، إذ الطلاق يصنـــع المشكلات ولا يحلها، ويجلب الشقاء والأحزان للأبناء والأزواج والمجتمع، ســـواء في المجتمعات في الشرق أو الغرب، ولذلك يقول خبير الزواج فان ديفلد: "الطلاق ليس علاجًا للشقاق الزوجي، والواقع أن الطلاق معناه انتصار العداوة الزوجية انتصـــارًا تامًا نهائيًا".

هدم أصعب منه البناء:

حين تذهب السكرة، ويفيق العقل على حقائق الطلاق المرة قد يتحسر كـــل مـــن الزوجين على الفراق، ويندم حين لا ينفع الندم، فالطلاق يصيب عواطف الزوجـين بشرخ عظيم، وقد تقف حوائل كثيرة تحول دون عودة ما تفرق، ومن ذلك قصـــة الشاعر الأخطل الذي كان له زوجة يعجبه شأنها، إلا أنه طلقها وتزوج بمطلقة رجـل من بني تغلب، وكانت هي بالتغلبي الذي طلّقها معجبة، فبينما هي ذات يوم جالســة مع الأخطل، إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء، ثم ذرفت دموعها، فعـرف الأخطل ما بها، فتذكر هو أيضا امرأته الأولى.وأنشد قائلا:

كلانا على وجـــــد ببيت كأنما بجنـــبيه من مسِّ الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح وزوجها على الطلقـــة الأولى كذا ينوح

وقد يتدخل الأب أو الأم فيدفعان ابنهما إلى طلاق زوجته، فيهدمان بيتـًا كـان راسخ الأركان دون سبب جوهري، ثم يريان من شقاء الابن بعد أن حرم من زوجتـه التي يحبها ما يدفع إلى إعادة ما تفرق، ومن هذا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق- رضي الله عنهما- تزوج بعاتكة بنت زيد بن نفيل، وكان يحبها حبًا شديدًا، فـــأمره أبوه بتطليقها، فقال بعد طلاقها:

فلم أر مثلي طلّق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سهل وحسن منصب وخلق سويٍّ ما يعاب ومنطق

أعاتك قلبي كل يوم وليلـــة إليك بما تخفي القلوب معلّق

أعاتك ما أنساك ما ذر شارق ومالاح نجم في السماء معلق

فرقّ له والده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأمره أن يراجعها، وقد لا يمكن عـــودة

المرأة إلى الرجل كأن تتزوج المرأة بآخر أو ترفض العودة بعد أن تبين من زوجها بينا فحينئذ يجد المطلق صعوبة كبيرة في بدء حياة زوجية جديدة من نواحٍ عـــدة، فـهو نفسه بما تكون لديه من خبرات في الحياة الزوجية يجد صعوبة في الوصول إلى كـفء يرضى به ويستجيب لرغبته في الزواج، ويبدأ معه حياة ينسى فيها الماضي، فالمـاضي لا يموت أبدا، وهذا بالنسبة للمرأة المطلقة أشد وأقسى في مجتمعنا، إذ المطلقة يبتعـد عنها الأزواج ويتحاشون الارتباط بها، ولأن عدد النساء أكثر من عدد الرجـال في مجتمعاتنا، فالمطلقة وإن كانت صغيرة السن يكون محكوما عليها أن تقضي بقية حياتها بلا زواج، تلاحقها كلمة "مطلقة" وكأنها أبدية، كما أن أولياء الفتيات يخافون مـن ناحية أخرى تزويج بناتهن لرجل مطلق وخصوصًا إن كان له أطفال، ويشقى المطلـق كثيرًا حتى يستطيع أن يبني أسرة جديدة، فهو يدفع للهدم كثيرا من المـال، ولكنـه يدفع للبناء أكثر ، ومع هذا يظل شبح الطلاق مخيمًا على أسرته الجديـدة، ومـهما حاول أن يتخلص من الماضي، فإن للماضي توابعه، وقد أظـهرت الإحصـاءات في إنكلترا أن نسبة الطلاق في الزواج الثاني تكون أعلى مما هي عليه في الـزواج الأول، لأن كلاً من الرجل والمرأة في هذا الزواج خبر الحياة الزوجية من قبل، وتشـكلت شخصيته على نمط يصعب تغييره لكي يتكيَّف مع الأوضاع الجديدة، والزواج الثـاني كثيرًا ما يصاحبه تنازلات كثيرة في الاختيار، لأن المطلق يشعر أنه الأدنى، والمجتمـع ينظر إليه على أنه أقل، فيختار الأقل، ثم يقع في الندم بعد ذلـك، ولا يسـتطيع أن يواصل الحياة مع غير كفء، وكان الأولى بمن فشل مرة أن يفهم أن سبب الفشـل الأول هو انعدام الكفاءة، فلا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

خطأ الاستسلام لأفكار الطلاق:

أفضل ما يفعله الأزواج هو ألا يستسلموا لأفكار الطلاق أو الخلع فـالطلاق أو الخلع تتوالد في النفس وتتعاظم لأوهى الأسباب، وأن يتمعنوا في كون حياة العزوبـة بعد الطلاق أو الخلع كلها شقاء وعذاب وخسائر، ومهما يكن في الزواج من عيوب وأخطاء، فحياة المطلقين أكثر تعاسة وحرمانًا وألًما واستمرار زواج به عيب أو عيوب أفضل من طلاق به خسائر لا تعد ولا تحصى، والواقع يؤكـد أنـه مـن الأفضـل الاستمرار في الزواج، وبذل كل جهد لإنجاحه بدلا من أن ينفصل الزوجان فيـهدمان أسرة، ويشردان أطفالا، ويحرمان نفسيهما من متع الحياة الزوجية المستقرة.

إن العاقل لابد له أن يوازن بين ما يعطيه الزواج له من مزايا كثـيرة سـيفقدها بالطلاق ولن يستطيع في الغالب تعويضها، والخسائر التي يسببها الطلاق، فـالزواج مشاركة وجدانية وأنس بأليف يبثه الإنسان همومه وأحزانـه ويشـاركه أفراحـه، ويسانده في الحياة، والزواج إشباعٌ لحاجات حسية وعاطفية، والزواج بيت وأسـرة وأولاد كالأزهار المتفتحة تحتاج إلى الرعاية والصيانة، ومن المؤكد أن الأطفال هـم أكبر ما يجمع بين الزوجين ويجعل حياتهما قابلة للاستمرار مهما يكـن فيـها مـن الخلاف.

والرجل الذي يستحق أن يوصف بالرجولة هو الذي يشعر بالواجب الذي عليه تجاه زوجته، وكذا المرأة التي تحب أن تكون هي المسلمة حقًا هي التي تعـي أمانـة الزوج والأولاد وتعلم علم اليقين أنها ستحاسب عليهم، فالرجل الذي يطلق زوجتـه كالذابح بالخيط بلا رحمة للمرأة!

فكم من كلام يقال، وظنون تلحق بالمطلقات!!

والزواج يتهدد باستمرار ما لم يكن هناك إحساس بالواجب، ومـــا لم يتســـامح الزوجان ويتنازلا عن بعض حقوق كل منهما للآخر، وهاهي الطامة الكـــبرى الآن التي جلس فيها بشر يحكمون بغير ما أنزل الله، ويفتحون أبوابًا كثيرة جديدة تهـــدد واقع الأسرة المسلمة، وليس لها أي هدف إلا القضاء على الرباط الشرعي المقـــدس الذي يستشعره المتدينون في زواجهم ينبغي أن يجعل حياتهم أكـــثر اســـتقرارًا مـــن غيرهم، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض، نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بَيْـــنِ المسلمين.

أثار قانون الأحوال الشخصية الجديد السيئة:

تميز المجتمع العربي قبل مشرق نور الدين الإسلامي بنـــزعة الغيرة على نســـائهم، وكان من أبرز معالم ذلك المجتمع قلة العلم، وتفشي الأمية والجهل فيه، وعندما جـــاء الإسلام، وأشرق نوره بين ربوع ذلك المجتمع، انقشع ظلام الجهل، وانـــزاح ســـتار التأخر، وزالت سحب الجمود والشر.

لقد جاء الإسلام بعقيدة ورسالة، جاء بعقيدة دينية كاملة، جامعة شاملة، تنظـــر إلى الإنسان نظرة حب ومودة وعطف، وكل ما يتعرض له الإنسان من مشـــكلات خلقية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، رسالة تضع لكل مشـــكلة حـــلاً دقيقًـــا حكيمًا يناسبها، ويعمل على تلافيها.

إن رسالة الإسلام جامعة وشاملة، تنظم شؤون الحياة بعدالة تامة، وتوجد توافقًـــا سليمًا بين المطالب المادية والروحية، لأنها نظام كامل للحياة الإنسانية بكل ما تقـــوم عليه من مقومات في مجال المادة والروح، وفي ضمير الفرد ومحيـــط الجماعـــة، وفي المشاعر الفردية، وفي العبادات والمعاملات، وفي نظام الدولة.

وبتعبير أدّق: الإسلام نظام خلقي، واجتماعي، واقتصادي، وسياسي، تتحقـــق في

ظله السعادة والاستقرار، ويستتب في ظله الأمن، وينتشر السلام.

ونظام الإسلام لا يضارعه فيه أي نظام آخر، لأن رسالة الإسلام عبـــارة عـــن مبادئ فكرية وعملية، منـــزلة من عند الحق سبحانه وتعالى لإرشاد الناس وهدايتهم، وليست من صنع البشر.

ولم يكن الإسلام في يوم من الأيام عقبة في طريق التقدم الفني أو العلمي أو عقبة في استمرار السعادة الزوجية واستمرار سيرها، كما يزعم خصومه وأعداؤه.

ولكن أقول بعد أن سَمَّوا الربا فائدة، ثم استباحوه في ســـائر تعـــاملاتهم بيعًـــا وشراءًا، حتى عم الربا في الناس، فلا يكاد يسلم منه إلا من رحم ربي، ثم انتقلوا بعـد ذلك من أمر الربا الذي لوث الأموال إلى أمر البيوت والأسر، فصـــرت تـــرى أن الرجل لا يرى أن مهمته في البيت بناء أرواح يربيها، إنما مهمته أن يقدم علفًا لأبنائـه كما يقدم علفًا لحيوانه، فلا يرى الرجل أن تعليم الوضوء والصـــلاة وأن تصحيـــح الاعتقاد وأن تعليم الأمر المشروع مهمةٌ قد علقت في عنقه؛ يؤدب بها أبناءه، ويـــربي بها نساءه؛ حتى يخرجوا وهم يعرفون ربهم، ويطيعون رسولهم؛ فإذا سمعوا قولا مـــن كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ سارعوا فقالوا: انتهينا وأطعنا، فلو أنَّه ربَّـــاهم على ذلك لكان أول السعداء في الدنيا والآخرة، لأنه بذلك إنما ينال برَّهـــم، لأن الله أمرهم بذلك، وينال من الزوجة طاعة لأن الله أمرهم بذلـــك، حـــتى أن الله جعـــل الزوج سيدًا في القرآن:

﴿وَاسْتَبَقَا البابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٢٥)

فلوا أنه جعلهم يسمعون إلى كلام الله فيطيعون ويمتثلون لكانت الفائدة عاجلـــة في الدنيا وباقية في الآخرة ، لكن القوم ظنوا أنهم يستطيعون أن يحكموا الدنيا إحكاما

لم يحكمه شرع ربِّ العالمين ، فوضعوا للأسواق وللبيوت قيما ، وللمعاهد والمـدارس نُظُمًا، كل ذلك ظانِّين أنهم سيسعدون. ولكن هل تعلم أن رب العزة يحمي دينه ؟!!

ويذكِّرُني ذلك بما كان من موقف الحديبية، حيث أخذ سهل بن عمرو يملـــي نائبًا عن قريش بنودًا لا لصالح قريش وإنما لأمر في نفسه ، فيقول : من جاءكم بغـير إذن وليِّه تردّوه ، ومن جاءنا لا نرده ، ذلك أن سهيل بن عمر يجلس والمســـلمون أمامه ، فيهم عبد الله ابنه الذي أسلم يوم بدر ، وفي الجانب الآخر ترك من ورائـــه قريشًا ، وفي بيته أبو جندل ابنه مقيدًا في قيوده ، لأنه قد دخل في الإســـلام فـهو يُمْلي، من جاءكم بغير إذن وليه ـــ يريد أبا جندل ـــ ومن جاءنا لا نرده يريد عبـد الله بن سهيل بن عمرو ، فكذلك ترى اليوم الناس كل واحد يريد أن يسن القـانون وهو لا يجيد قراءة الفاتحة ـــ أو النظام ، لأمر حاك في صدره أو لشيء وقع في بيتـه ، فماذا صنع سهيل بن عمرو بذلك الذي أملاه !!

صنع فتحًا عجيبًا وأمرًا جليلاً أراده الله عز وجل للمسلمين فكـان المسـلمون كما قال ﷺ لأبي جندل : -" ارجع فسيجعل الله لك ولأصحابك فرجا ".

فحلت القيود من أرجل المسلمين ، فصاروا أحرارًا بذلك البند الذي اغتاظ لـه جميع المسلمين ساعة من نهار ، ثم فرج الله عنهم بتفريجات كثيرة ، ففتح عليهم بعـد ذلك خيبر ، وأرسل رسلهم إلى كسرى وقيصر.

إذن فالواجب أن نعلم أن السعادة مخازنها عند الله !!

تدبر أخا الإسلام : - لأن الناس يظنون أنهم سيصلحون أحوال الأسر بنظـام يضعونه في قانون يسنونه للأحوال الشخصية يرون المرأة مهانة. مع أن المثل أمامنـا صارخ في أوربا ، فليس هناك على وجه الأرض أشقي من المرأة الأوربية والأمريكية، ذلك لأنهم سنّوا قوانين جعلت الرجل لا يرى في البيت راحة ولا سـعادة ، فـهجر

البيت وبقيت المرأة تتحمل الأبناء والأطفال ، فتقوم في النهار تعمل لتكسب القوت، وبالليل تربي الأولاد ، وزهد الرجال في الزواج وعاشوا في الزنا الذي لا تهان النساء بأكثر منه ، ولكن إذا أردنا أن نسعد النساء كما زعمنا فإن سعادة النساء لا تكـون على حساب الرجال ولا تكون سعادة الرجال على حساب النساء ، لأن الســعادة ليست مخازنها في قانون يُسنُّ أو نظام يوضع ، إنما الســعادة مخازنهـا عنـد الله ربّ العالمين، الذي قال :- نبيه ﷺ :" خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي".([1]).

وقال : " إنمن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبـت تقيمه كسرته ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وإن كرهت منها خلقـا رضيت منها غيره".

يُربى الرجال علي أن الرجل ينال الدرجات والأجر والفضل عند الله إن أحسـن إلى زوجته ورعى ولده ورباه ، وكذلك تعلم المرأة أن عزها وسؤددها وسـعادتها في طاعة زوجها ، (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضى دخلت الجنة) عطاء مـن رب العالمين.

فلو تدبرت أخي المسلم ، فإن الأرض لا ينقصها قانون يسن ، فـإن قوانـين الأحوال الشخصية من يوم وُضِعَتْ وضعها شيوخ مُعَمَّمون ، وأخذت مـن كتـب فقهاء يدَّونون . ليس هناك قانون للأحوال الشخصية عندنا بمصر إلا وقد أخذ مـن أقوال الفقهاء ، ولكنَّ العيبَ ليس في قول الفقهاء إنما العيـب في فـهمنا لمـا أراد الفقهاء من أقوالهم.

أن الزواج الذي قد شُرع من عند حكيم عليم، جعلوه جحيمًا!!

الزواج يعقد بكلمتين: ولي الزوجة يقول: زوجتُك، وينطق الزوج يقول: قبلت، فيباح له منها كل شيء إلا الدبر والحيضة، تلك العروة التي عقدت بكلمتين لا تفـك

([1]) أخرجه ابن ماجة برقم ١٩٧٧

إلا بثلاث كلمات تخرج منه، فيطلق ثلاث مرات: هذا الشرع الحكيم كيف أحالـــه الناس جحيمًا، فنرى الرجل إذا نطق بالطلاق ففـــي الأســـواق، وفي البيـــوت، وفي الغضب، وإن نطق بالطلاق بدأ بقوله: ثلاثًا مع أن ربَّ العـــزة لم يذكـــر في كتابـــه الطلاق ثلاثا، إنما قال: "الطلاق مرتان".

ومنهم من لا يكفيه من الطلاق ثلاثًا حتى يجمع مع الطلاق تحريمًا، وحتى يقـــرن بالتحريم بأمه وأخته وابنته، فيجمع مع الطلاق ظهارًا، ثم تراه بعد ذلك يغلق علـــى نفسه الأبواب ببدع وكلام باطل كثير، عقَّدت على نفسك وضيَّقت أمـــرًا وسَّـــعه ربك، ثم جئت تطلب الحل بعد ذلك، أيصلحه هذا القانون؟

أينجيه ذلك لائحة أو نظام؟

إنه ولابد أولاً أن يتربى، ثم تأتي المرأة وتقول بعد ذلك: الخلع!!

ونظرت إلى القانون الذي يدعي قانون الأحوال الشخصية ذلك القانون رقـــم١ لسنة ٢٠٠٠ فوجدته بهذه الطريقة قانونا لصالح الشيطان لا لمصر. فمن المســـاوئ التي في هذا القانون

١ـ فتح أبواب البلاد على مصراعيها للمرأة:

جاء في المادة الأولى من قانون الأحوال الشخصية رقم :"١" لســـنة ٢٠٠٠ في البند الخامس:

"المنازعات حول السفر إلى الخارج بعد سماع أقوال ذوي الشأن"

بعدما قرأت هذه الفقرة كدت أجن، هذه مصيبة كيف يخرج هذا البند الخبيـــث بهذا الدهاء المؤلم. وخرجت من منـــزلي وذهبت إلى رجل أثق به هو الأستاذ/ محمـــود عبد الحليم المحامي وقلت هل ما أفهمه من هذا القانون صحيح. قال: نعم!!

قلت: هل هناك من شيء آخر أحس أن علاماتِ الحيرةِ ترتسم على وجهك.

قال: إن هذا البند يفصل فيه قاضي الأمور الوقتية.

قلت: وما في ذلك من غيره؟!

قال: هو قاضٍ يكون في الثلاثين من عمره.

قلت: أين الرجوع إلى الشرع الحكيم.

فخرجت وأنا تائهٌ لا أدري لماذا كل هذا اللعب بشرع الله؟ لماذا؟!! لماذا تركنا النبع الصافي؟ لما أعرضنا عن ذكر الله؟!.

ألم يقل جل وعلا "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً".

قلت: هل هم أعلم بالمرأة من خالقها؟ هل هم أعلم بالمرأة من نبيِّها؟!!

فقد روى الشيخان أن رجلاً قال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟ قال: "انطلق فحج مع امرأتك" فتعطيل رجل عن الجهاد ليصحب امرأته في حجها أمر له دلالته! والقاعدة الشرعية تقول:

"درء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح".

وما سأل الرسول ﷺ عن الطريق وما افترض المصلحة وإنما قال له اذهب فحج مع امرأتك!

أختـــاه:

لا تنظري إلى المرأة الأوربية، التي تخرج من هذه البلد لتدخل أخرى إنها ليست سعيدة، إن هذه المرأة ذاهلة كل الذهول عن لقاء الله ، وهي مسعورة وراء مطالب الدنيا ورغبات الجسد، إن هذه المرأة إذا انتهك عرضها قامت وكأن شيئاً لم يكن وإذا اشتكت كان ذلك بسبب أن الرجل لم يكن ليملأ عينيها ولقد سمعت شكايات مفزعة لطالبات أمريكيات من ذئاب حاولوا اغتصابهن !

حادث مفزع

ذات يوم كنت أسير مع أحد علمائنا الذين ذهبوا إلى الدعـــوة في الولايـــات المتحدة الأمريكية فقص لي هذه القصة ومحتواها يدور حول فتاة كانت تسير أمامه في سيارتها الخاصة وكان الشيخ يركب مع بعض الأخوة العرب المقيمين في هذه البلـد ، ويذكر الشيخ القصة باكيًا يقول: فإذا بالفتاة تقف أمام أحد المحلات لتشتري بعـض الإحتياجات وكان المسجد بجوار هذا المحل وعند نزول الشيخ يقسم بالله بهذا، يقـول جرى شاب وأمسك بيدها وحاول إغتصابها لـولا أن الله أراد أن نصـل في نفـس اللحظة فأنجيناها من يد هذا الذئب، ولما ذهبنا إلى المسجد عرضت على الأخـوة أن أتحدث عن هذه القصة فقالوا في صوت واحد لا تؤثر فكل يوم يحدث العشرات مـن هذه الحوادث والكل يسير في طريقه ولا يبالي.

قلت: سبحان الله الحمد لله على نعمة الإسلام.

أختـــاه :

إن الإسلام يحبك ، ويعّزك ، ويكرمك ، وينظر إلى المرأة على أنها جوهرة يجـب أن تصان وتحفظ من الأيدي الغادرة.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رســول الله ﷺ : " لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم".

وهذا يعمُّ جميع الأسفار حتى سفر الحج.

قد يبدر الى الذهن سؤالًا يلح على وجود جواب من بعـض الأخـوات ومـا ذكرت هذا السؤال إلا لكثرته لي في أغلب محاضراتي ،

ما يكون إذا ركبت الطائرة ومعها مودع ومستقبل ؟

هذا زعم واه فمن الذي سيركب بجانبها في المقعد المجاور، ولو حصـل خلـل

فهبطت الطائرة في مطار آخر ، أو حدث تأخير واختلاف موعد ، فمـــاذا يكـــون الحال ؟! والقصص كثيرة.

هذا ويشترط في المحرم أربعة شروط وهي أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلاً ذكرًا.

كما قال رسول الله ﷺ:" . . . أبوها أو ابنها أو زوجها أ و أخوها أو ذو محرم منها" (١).

٢ـ ضياع مكانة الأم في الإسلام:

إن هذا القانون الجديد يجعل في الأسرة التشتت والضياع ، يحـــس بـــه الأولاد وكأن أمهم هذه شعلة من الفساد ، وذلك إذا هدَّدت المرأة يومًا زوجها بـــــالخلع ، فيحس الابن تجاه أمه بالخوف .

أولا: على أبيه.

ثانيا : على إخوته الذين يضيعون في تيه العالم اليوم إذا كانت الأم سببًا في تفريق الأسرة.

كل هذا خطره علي المرأة التي هي أمٌ. تأتي الزوجة وتقول: أخرج أمـــك مـــن البيت وإلا خلعتك فماذا يفعل هذا الابن سوف يقوم على الفـــور ويخـــرج أمـــه ، وتصبح الأم مثل الأم في أمريكا.

يقول الأخ الحبيب د/ محمد الشويعر في إحدى أسفاري إلى الولايات المتحـــدة الأمريكية التقيت بطالب مسلم ملتزم ، حكى لي قصة ملخصها قوله: لقد كنـــت أسكن في إحدى ولايات الولايات المتحدة الأمريكية أثناء دراستي ، وكانت تجـاورني في السكن امرأة تجاوزت الستين ، بل تزيد ، تعيش بمفردها ولا أرى لها عملاً تذهـب إليه ، فخلتها مقطوعة الصلة ، وفي أحد الأيام كعادتي عدت من الجامعة ، وما كدت أقترب من باب شقتي حتي رأيت العجوز تسقط على الأرض بلا وعي أو حـــراك ،

(١) رواه مسلم (٢ / ٩٧٧)

ولم يكن ذلك بفعل جانٍ أراه أو معتدٍ له مآرب.

وقفت ملّياً أتفكر : ماذا أعمل تجاهها ؟.

والعاطفة قد خفت عندهم، وطغى عندهم بدلاً منها الماديات وهل أمضـــي في سبيلي وكأنني لا أدرى عما يدور حولي وبعد إجالة النظر تحرك الجانب الديـــني في شعورى ، حيث ربّانا الإسلام على ذلك عاطفية وعملاً.

فاقتربت منها وتحسست، فإذا أنفاسها تتلاحق، وقلبها ينبض، فطلبـــت ســـيارة الإسعاف التي نقلتها لأقرب مستشفى حيث أعطيت علاجا أعـــاد إليـــها الحيويـــة، فأفاقت لترى نفسها في سرير أبيض، يحف بها ممرضات وطبيب، وهذا الغريب المسلم الذي هو شخصي، وكانت دهشتنا أكبر، واستغرابها أشد، عندما أشعرها الطبيـــب عن حالتها الصحية، وأن الواقف أمامها ـــ الذي هو أنا ـــ هو الذي رعاها واهتـــم بها، وقد زاد استغرابه عندما أخبرته عني قائلةً: إن هذا الشاب عربيٌ مسلم، يجاورهـــا في السكن منذ سنتين، ولا تعرف حتى اسمه، بينما هي كاثوليكية من أصل أوربي، ولا ترابط بينهما، ولا تعارف أكثر من ذلك. ثم سألها الطبيب ســـؤالاً، ليضمـــن حـــق المستشفى وأتعابه هو: هل لك أولاد؟!!. وما وضعهم المالي والاجتماعي؟!!

لكنه استغرب عندما قالت: إن لي ثلاثة أولاد وبنتين، لكنني لم أرهم منذ خمـــس سنوات، ولا يمدونني بسنت واحد، ومما زاد الأمر غرابة، عندما أخبرت بعناوينـــهم وأعمالهم؛ فإذا واحدة من البنات في البناية المجاورة لسكن الأم، وواحد من الأبنـــاء يسكن ويعمل في محل تجاري في نهاية الشارع الذي تسكنه، والآخر أستاذ بالجامعـــة التي يدرس بها الطالب المسلم.

وأخبرت أنها لا تحمل تامينًا صحيًا، ووضعها الصحي مهزوز بعـــد أن أودعـــها أولادها الملجأ المخصص للعجائز، فخرجت منه بما لديها من رصيد ادَّخرته، وقد بـدأ

في النفاد، ثم أخبرت عن حالتها الصحية التي تمر بها دائما كلما نقص دواء الســـكر الذي تتعاطاه.

لم يخجل الطبيب في هذا الموقف، وهي تحكي وضعها المالي أن يطالبـــها بســـداد التكاليف المترتبة، وشدَّد الأمر عندما طلبت منه الإمهال ريثما تدبر الأمر، عندهـــا تحركت نخوة هذا المسلم مرة أخرى، لأنها جذور الإسلام المتمكنة تتحرك في المواقـف المؤثرة، فتناول قسيمة التكاليف، كتعبير مباشر عن اســتعداده لتحمـــل النفقـــات، وتسديد الحساب بدون تردد.

ثم عاد ليصطحب هذه المرأة المسنة ليرعاها في بيتها، ويهتم بشئونها، ويقدم لها ما ينقصها من العلاج والدواء كما يفعل الأبناء البررة، وتعاون معها في البحـــث عـــن أولادها وإعلامهم عن حالها.

وقد آلمه أنَّ أولادها استقبلوا خبر مرضها بعدم الاكـــتراث أو الاهتمـــام ، ولم يعبرِّوا عن مودتهم لها ولا أعماله نحوها، ولا بكلمات المجاملة أو الاستعداد لزيارتها.

عاد إلى نفسه، وحمد الله على أن هداه للإسلام بما فيه من قيم ومثاليـــات وبمـــا غرس في أبنائهِ من أخلاق، ودعوة للبر بالوالدين، ورعايتهم وإكرامـــهم، وتمـــنى أن تنطوي الأيام ليُنهي دراسته، ويفارق هذا المجتمع المادي بتفككه وخوائـــه العقـــدي والفكري.

أخبر جارته العجوز بكل ما وجد من أولادها، وكله حســـرة تعصـــر كيانـــه، وأحاسيس تستولي على مشاعره، لكنها استقبلت الأمر بعدم المبالاة؛ لأن هذا واقـــع مجتمعهم ، ولأنها فاقدة لقاعدة ترسيخ الولاء للوالدين، وحب البر فيـــهم، وفـــاقد الشيء لا يعطيه.

ولكنها قالت له: وأنت ما الذي حملك على هذا العمل الإنساني، هـــل لأنـــك

كطالب تفكر في النجاح، أم أنك تعمل في جمعية خيرية تعطيك أجـــرًا علـــى هـــذا العمل.. أم ماذا؟؟!!.

فقال لها: لا هذا ولا ذاك، ولكنها تعاليم ديني، ومبدأ عقيدتي، ثم شرح لها ذلك، وعن مكانة المرأة في الإسلام منذ الولادة إلى نهاية مرحلة الشيخوخة، وحقها علـــى أبنائها، وحقوق الجار والاهتمام بشئونه، وكانت تنصت إليه بشغف واســـتغراب، ثم قالت: لم أسمع بمثل هذا الدين.. حبذا لو انتبه الناس لعلهم يستنيرون به؛ لأن فيمـــا قلته أشياء تنقصهم كثيرا، ثم بكت وقالت: من أجل هذا عشتم متحابين متآلفين، أما نحن فيبغض بعضنا بعضا، مهما كانت القرابة، ولا رابطة إلا المصلحة المادية..، وبعـد تنهد وحسرة تنبئ عن ألم مكبوت قالت: هل يمتد عمري لكي أرى المجتمع الأمريكـي وقد ارتدى هذا اللباس الذي يضفيه دينكم على مجتمعه، ليتبدل في نظرتـــه للحيـــاة واهتمامه بالأسرة والمجتمع، وخاصة كبار السن أمثالي الذين يزهد فيهم أولادهم.

أيها الإخوة الكرام.. أيتها الأخوات الفضليات.

والله ما أري في هذا القانون الجديد إلا ضياعا لمكانة المـــرأة المســـلمة وزلزلـــة لعرشها فهي اللؤلؤة المكنونة التي حماها الإسلام بكل صغـــيرة وكبـــيرة في الشـــرع الحكيم.

أختاه ـ أختاه ـ

اعلمي أن هذا القانون داء لك ومهانة عليك لا تقولي: أريد الحرية فأين الحريـــة في أمريكا؟؟ أين الحرية؟ أليست هذه هي المرأة التي يريدون أن تكوني مثلها؟

أما كانت لك هذه القصة رادعا؟

أختـــــاه

إذا تهاونا في أوامر ديننا، فإننا نصبح مثلا حيا في بيئتهم ينالنا ما ينـــالهم، ونتـــألم

مثلما يتألمون بعد أن ضاع منا الرجاء من الله.

٣ـ منع فضيلة تعدد الزوجات:

إن المرأة أصبحت لها القدرة على ترك الرجل والخُلْع منه فإذا أراد الرجـــل أن يفعل هذه السُّنة قامت المرأة وانخلعت منه.

أقول: إن قضية تعدد الزوجات ليست عورة نسترها أو تهمة نتكتمها أو مسـألة نتوارى بها خجلا وندخل معها في قفص الاتهام نتلمس البراءة لديننا أمـــام أعـداء الإسلام والمسلمين، فتعدد الزوجات بمثابة الدواء والعلاج لكثير مـــن المشـكلات الاجتماعية التي قد تعرض للأسرة وهو أمر مباح ويسنُّ إذا حسنت النوايا وروعيـت فيه الضوابط الشرعية، وقد ينقلب حرامًا إذا ما خاف الإنسان الجور وعدم العـدل، فقد تمرض الزوجة مرضًا مزمنًا يطول برؤه أو يُستعصى على العلاج ما لا يمكنها مـن أن تقوم بواجبها تجاه أسرتها وزوجها، الأمر الذي يدفع الزوج إلى طلاقها إن لم يجـد سعة وحلاً في إباحة التعدد له.

وبعض الرجال يغلب عليهم سلطان الشهوة ولا تندفع حاجته بزوجة واحـدة، فلو سد عليه باب التعدد لفتح لنفسه باب الزنى، واتخاذ الخليلات بدل الحليـلات، وهذا شر مستطير يهلك المجتمعات ويفسد الأخلاق.

وكذلك إذا كانت الزوجة عقيمًا لا تلد، فغياب الأطفال في بعض الأسر سببٌ يجعل محيط الأسرة تسوده الكآبة وعدم البهجة وبخاصة إذا كان الزوج شديد التعلـق بالأطفال وله رغبة ملحة في الإنجاب، ففي رحاب التعدد كان الزواج بـأخرى مـن أسلم الحلول لاستمرار الحياة بينهما والحفاظ على أواصر الوفاء تجاهها وفي الوقـت نفسه، تحقق رغبة الزوج في إنجاب طفل يملأ عليه الحياة سعادة وسروراً، كما أنه مـن المشاهد أن الكثير من الإناث مستعدات للزواج وكثير من الرجال لا قدرة لهم علـى

القيام بلوازم الزواج لفقرهم، فلو قصر الواحد على الواحدة لضـــاع كثـير مـن المستعدات للزواج أيضا، لعدم وجود أزواج فيكون ذلك سببًا لضيـــاع الفضيلـة وتفشي الرذيلة والانحطاط الخلقي وضياع القيم.

أما في البلاد التي خرجت من الحروب، فإن للتعدد فوائد عظيمة في اســتقرار المجتمع وأمنه، حيث إن الحروب تخلّف وراءها جيشا جرارًا من النســاء والأرامـل اللواتي يزيد عددهن بكثير عن عدد الرجال ويصبح في تلك الظروف الاقتصار علـى زوجة واحدة يحرم كثيرًا من النساء من حياة عائلية مستقرة ولا يجد طريقا لهـنَّ إلا الرهينة وما أقساها، وقد تكون ستارًا لأمور شنيعة وإما يلجأن إلى ركوب الفاحشـة، وما أتعسه من حل!!

بالإضافة إلى كل هذا قد يصبح التعدد علاجًا ناجحًا لكثير من الـدول الـتي تعاني من نقص في المواليد وقلة كثافة سكانها مما يضعف شوكتها ويطمع فيها جيرانهـا فكان التعدد من أهم العوامل التي تساعد على بناء قوتها البشرية وتوافـر الأيـدي العاملة التي تستخرج خيراتها وتدعم اقتصادها وكيانها.

ومن هنا كان التعدد في الإسلام، وكانت الاستفادة من مزاياه لحل كثير مـن المشكلات الاجتماعية سد باب الفاحشة والرذيلة يقـول تعـالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾ (النساء: ٣)

قال العلامة الشنقيطي- عليه رحمة الله- وقد أباح القـرآن تعـدد الزوجـات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل بعدم تعطيـلَ منافعـه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة، ولمصلحة الأمة ليكثر عددها فيمكنها مقاومة عدوهـا لتكون كلمة الله هي العليا، فهو تشريع حكيم خبير لا يطعن فيه إلا من أعمـى الله

بصيرته بظلمات الكفر وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير وهو أمر وسط بين القلة المفضية إلى تعطيل منافع الرجل وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع".

ولقد فشلت النظم الغربية في إيجاد حلول منطقية للمشكلات الناتجة من غيـــاب نظام "تعدد الزوجات" وأدى تفاقم هذه المشكلات إلى زيادة عدد البغايا على عـــدد المتزوجات وكثرة عدد المواليد من الزنا بنسبة تصل إلى الملايين كما عزف الرجـــال عن الزواج، حيث أصبحت المرأة سهلة المنال بلا تكاليف ولا مسؤوليات وانحلـــت عرى الصلات الوثيقة بين الزوجين مما جعل الحياة الزوجية في اضطراب دائم ووصل الأمر ببعض الرجال إلي أن يتهم زوجته بالزنى حتى يتيسر له الخلاص منها بـــالطلاق، أما عن الأمراض الجنسية فحدث ولا حرج، حيث أصبحت خطـــرا يـــهدد حيـــاة المواطن الغربي، كل هذه الأزمات جعلت المنصفين من مفكـــري الغـــرب ينـــادون بالعودة إلى نظام تعدد الزوجات حفاظا على المجتمع من عوامل التردي التي تفشـــت فيه، يقول الفيلسوف الإنجليزي- برناردشو- عـــن تعـــدد الزوجـــات في الديـــن الإسلامي " إن أوربا لو أخذت بهذا النظام لوفرت على شعوبها كثيرا مـــن أســـباب الانحلال والسقوط الخلقي والتفكك العائلي"

ويقول الفيلسوف الألماني: " "شوبنهاور" "إن قوانين الزواج في أوربـــا قوانـــين فاسدة بمساواتها المرأة بالرجل، فقد جعلتنا نقتصر على زوجـــة واحـــدة، فـــأفقدت الرجال نصف حقوقهم وضاعفت على النساء واجباتهن" ثم يقـــول: "إن المـــرأة في الأمم التي تجيز تعدد الزوجات لا تعدم زوجا يتكفل شؤونها، إن المتزوجات من بناتنا عددهن قليل، أما غير المتزوجات فلا يحصى عددهن تراهن هنا وهناك بغير كفيـــل، ففي مدينة لندن وحدها آلاف الفتيات اللاتي فقدن شرفهن ضحية نظـــم الاقتصـــار

على زوجة واحدة. إن هذا التغيير في وضع هذا القانون الجديد جاء لإرضاء اتجـــاه فكري أو لشريحة من المجتمع ، أما آن لنا أن نعود بالقانون إلى شـــرع الله ســـبحانه وتعالى.

٤ـ جعلنا نعيش في زمان للنساء فيه جبروت:

إن هذا القانون إن غيَّر في المرأة إنما يكون تغييره في حياء المرأة، في لباس المـــرأة، في خروج المرأة من البيت متى شاءت، في تغيير هذه السنة الربانية العظيمة؛ ألا وهـــي قوامة الرجال على النساء.

عباد الله نحن في زمن كله عجائب، يعجب العاقل اللبيب، ومن أعجب ما فيـــه أن بهذا القانون سيصبح الرجال لا سلطان لهم على النساء إلا من رحم ربي، وقليـــل ما هم، نعم سيصبح للنساء جبروت، أمامه الرجال في حال ضئيل. انعكس الأمـــر فصار القوي ضعيفًا والضعيف قويًا، تقول الدكتورة: منى عبد الحميد "أنا أخشـــى على نفسي كامرأة أن أملك هذا الحق- الخلـــع- وذلـــك لأن الأزواج متعقلـــون ويحسبون قرارتهم بدقة قبل اتخاذها لكن السيدات ــ وهذه طبيعتهن ولا يملك أحـــد تغييرها ــ عاطفيات ورومانسيات بصورة أكبر ويغلبن العاطفة على العقل ولذلـــك يجب أن تظل القوامة للرجال على النساء كما قال الشرع.

أقول: نعم، فلقد قرر الله هذه الحقيقة من فوق سبع سموات منذ أكثر من ألـــف وأربعمائة عام في كتابه جل في علاه حيث قـــال تعـــالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِـي أَرْحَامِـهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ وَبُعُولَتُـهُنَّ أَحَـقُّ بِرَدِّهِـنَّ فِـي ذَلِـكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِـالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَـالِ عَلَيْـهِنَّ دَرَجَـةٌ وَاللّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٢٨).

يقول القرطبي في هذه الآية ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ولا يخفى على لبيب فضل الرجال على النساء وعلى الجملة، ودرجة تقتضي التفضيل، وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء وفي المال والخلف، أي الأفضل أن يتحامل على نفسه، قال ابن عطية: وهذا قول حسن بارع.([1]).

وقال سبحانه:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء : ٣٤)

والقوامة هنا مستحقة بتفضيل الفطرة ثم بما فرض على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة. ثم إن المرأة تختلف عن الرجل في تركيبها الجسمي والنفسي، وهذا دليل على دور المرأة للقيام بواجبات الأنوثة والأمومة وبما أنَّ المرأة كثيرة التقلب والتغير في العاطفة والانفعال، أي أن المرأة تحيض ــ تحمل ــ تلد ــ تنفس ــ تضع ــ تباشر الحضانة، فهي تتعرض لمؤثرات ذاتية، فالمرأة ضعيفة في هيكلها العظمي وهذا يرجع إلى عدة عوامل منها:

أ- ضعف عضلات المرأة عن عضلات الرجل:

لأن الرجل يقوم بالأعمال اليدوية الشاقة بأنواعها، وفي هذه الحالة يستخدم الرجل عضلاته في كل عمل صعب. ومن ثم فإن الرجل مكلف بالدفاع عن المرأة من كل عدو، وهذا مما جعل الرجل يكون قويا.

---

[1] - تفسير القرطبي (٣/ ١١٢)

بـ الحيض الشهري:

فإنه من غير شك له تأثير كبير في إضعاف عظام المرأة لأن في هذه الحالة تُخـــرج المرأة في كل شهر كمية من الدم وعلى ذلك يضعف جســـمها وتضعـــف العظـــام والعضلات.

جـ الحمل والولادة والرضاعة:

فإنها في هذه الحالة تعاني الشيء الكثير من الآلام الجسمية، والتأثيرات النفســـية من خوف وقلق وانزعاج. ثم السهر على الطفل من رضاعـــة أو مـــرض، ومـــن ثم يضعف جسمها لأن الغذاء الذي تأكله ينقسم إلى قسمين:

- **قسم لجسمها.**
- **قسم للجنين الذي هو داخل أحشائها.**

وعند الولادة: تفقد قواها ومن ثم تفقد كثيرًا من الدم.

يقول الأستاذ العقاد:

إن المرأة لها تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجال، لأن ملازمة الطفـــل الوليد تستدعي شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه وبين فهمها وفهمه، وبين مدارج جسمها وعطفها ومدارج جسمه وعطفه، وذلك أصول اللب الأنثوي الـــذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة فيصعب عليها ما يسهل علـــى الرجل من تحكم العقل وتغلب الرأي وصلابة العزيمة أ. هـــ.

ومع هذا فإننا لا ننكر أن منهن من اشتهرن، فكان فيهن الباحثات والخطيبـــات والصالحات في شئون الدين وشمائل الفضائل والأخلاق، ومع هذا لم نجد في تـــاريخ الإسلام أن المرأة وليت ولاية للمسلمين أو حضرت مجالس الشورى للنـــبي ﷺ أو

لأحد خلفاء المسلمين، واليوم يريدون أن يجعلوا في يديها باب من أبواب الطلاق، إن هذا لها مهانة، كيف ذلك وهي الضعيفة؟ العاطفية؟

وبعد ما تفسد وتقطع الرباط الأسري سوف تفكر وتندم يوم لا ينفع الندم.

وأكتفي بهذا القدر من آثار القانون الجديد على الأمة الإسلامية، لأني أشـــعر أن لساني بدأ يتلعثم وقلمي بدأ أن يتعثر. والله إني أخاف عليك أختاه.. واعلمـــي أن لي أخت وأحب لهم السيادة، ولكن فيما أمر الله فحسب.

الزوجات المختلعات!!

النبي ﷺ يقول : " أيما امرأة سألت زوجها الطلاق بغير بـــأس فالجنـــة عليـــها حرام".

ويقول ﷺ (المختلعات هن المنافقات) وتعلمون أن رب العزة سبحانه وتعـــالى قال ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾

(النساء: ١٤٥).

وينظرون إلى ثابت بن قيس بن شماس وقد طلبت زوجه منه الخلع والراجـــح أن زوجتين طلبتا الخلع (من ثابت بن شماس) ولم يثبت ذلك عن أحد مـــن الصحابـــة سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد موته، وأن ألفاظا لما شـــكون تعـــددت في مواقـــف متعددة، فقالت للنبي ﷺ إني لا أكره منه خلقا ولا دينا ، ذلك لما شكت زوجها أمام النبي ﷺ أرادت أن تفتدي نفسها ، فقال (أتردين عليه حديقته) ؟؟

قالت نعم وزيادة ، قال : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة.

لكن تأتي الروايات الأخرى للحديث فتبين أنه ضربها فكسر ذراعـــها ، فجـــاء أخوها يقول : خذ ما أعطيتنا وطلقها.

وتاتي رواية أخرى تقول : إني رفعت الستر فرأيته بين الرجال قصـــيرا شـــديد السواد دميما شديد الدمامة فكرهته وإني أكره الكفر في الإسلام .

وتأتي في أخرى فتقول : نظرته فوجدته دميما ، والله لولا أني اخشى الله لبصقت في وجهه.

لما جاء الطلاق بيد الرجل عابوا عليه ذلك ، فهم الآن أرادوا أن يجعلوا للمـــرأة خلعا !!.

مفاهيم من فقه الخلع

الخلع الذي أباحه الإسلام مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله ، لأن المرأة لبـــاس للرجل والرجل لباس لها.

ولما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ عن الخلع الذي جاء به الكتاب والسنة قال :

الخلع الذي جاء به الكتاب والسنة أن تكون المرأة كارهة للزوج تريـد فراقـه فتعطيه الصداق أو بعضه فداء نفسها ، كما يفتدى الأسير ، وأما إذا كان كل منهما مريدا لصاحبه فهذا الخلع محدث في الإسلام.

وأحب أن أقدم هذه الفتوى لمن ظن أنه يلعب بشرع الله ويدعي علـى قـانون الشرع الحكيم الذي هو ليس من صنع بشر يخطئون فظنوا أنهم بقوتهـم يمكـن أن يشرعوا أو يقننوا ويلعبون بالدين.

أضع في عنق المرأة المسلمة هذا الكلام.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : عن امرأة مبغضـة لزوجـها طلبت الانخلاع منه. وقالت له : إن لم تفارقني وإلا قتلت نفسي ، فأكرهه الوالى علي الفرقة ، وتزوجت غيره، وقد طلبها الأول ، وقال : إنه فارقها مكرهـا ، وهـي لا تريد إلا الثاني ؟

فأجاب : إن كان الزوج الأول أكره على الفرقة بحق : مثل أن يكون مقصرا في واجباتها ، أو مضرا لها بغير حق من قول أو فعل، كانت الفرقة صحيحة، والنكـاح الثاني صحيحا ، وهي زوجة الثاني.

وإن كان أكره بالضرب أو بالحبس وهو محسن لعشرتها حتى فارقـها، لم تقـع

الفرقة، بل إذا أبغضته وهو محسن إليها فإنه يطلب منه الفرقة من غير أن يلزم بذلك، فإن فعل وإلا أمرت المرأة بالصبر عليه إذا لم يكن ما يبيح الفسخ (١).

وعن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لا يصلح الخلع إلا أن يكون الفساد من قبل المرأة (٢).

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أقام الزوجان على إقامة حدود الله بينهما فالخلع غير جائز ، والفدية لا تحل.

لا تتخذي القانون الجديد حيلة

قال أبو عبد الله: فهذا الخلع الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة وذهب إليه فقهاء الأمة لا نعلم له وجها غير هذا، ولا يجوز أن يطبق ولا يستعمل إلا عند الأسباب التي ذكرها الله عز وجل، وهي وقوع النفور والبغض والشقاق ومعصية الله تبارك وتعالى، لا للحيلة والمخالفة والخديعة والمماكرة، والعدول به إلي غير جهته، ووضعه في غير موضعه الذي أراد الله له، وفسح به عند الحاجة إليه.

وما ظنك به إذا كان فيه حيلة وخديعة. فهو يكون كالذي أراد مشرقا فذهب مغربا.

قال ﷺ: "ما بال أقوام يلعبون بحدود الله ويستهزئون بآياته! خلعتك، راجعتك، طلقتك، راجعتك"

وأصل الحيلة في الشريعة الإسلامية خديعة ، والخديعة نفاق، والنفاق عند الله عز وجل أعظم من صراح الكفر.

قال جل وعلا: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢ / ٢٨٢ ، ٢٨٣)

(٢) أخرجه بن حميد كما في الدر المنثور (١/ ٦٧٢).

بِمُؤْمِنِينَ(٨) يُخَـادِعُونَ اللّـهَ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا وَمَـا يَخْدَعُـونَ إِلاَّ أَنفُسَـهُم وَمَـا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ٨،٩).

وقال تبارك شأنه: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُـوَ خَادِعُـهُمْ وَإِذَا قَـامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾

(النساء:١٤٢).

أفلا ترين أن المنافقين أظهروا قبول الأحكام الإسلامية، وألزموا أنفسهم التديـن بها، حيلة بذلك وخديعة لله عز وجل، ولرسوله ﷺ ، ولعبـاده المؤمنـين رحمـة الله عليهم، ليحقنوا بذلك دماءهم، ويحفظوا أموالهم، فأعطاهم ما أرادوا بمـا أظـهروا، وأكذبهم فيما ادعوا بما أسروا وأبطنوا، ورد عليـهم كيدهـم وخديعتـهم بسـوء اعتقادهم، وإرادتهم غير الذي أمر الله به من خالص التصديـق وصـافي التوحيـد، واستعمالهم آلات الإيمان لغير ما أرادها الله عز وجل.

وهذا باب من الحيلة، وهو أفحشها وأقبحها، وكل ما كان في الحيلة فمشبَّهٌ بمـا ومنسوب إليها ومتشعب عنها.

وتجد الله عز وجل قد حرم الحيلة والخديعة وحرمها رسول ﷺ وأبطلـها، وإن أعطاها صحة الحكم في ظاهرها.

ألا ترى أن رسول الله ﷺ حكم بما ظهر، وأبطل ذلك بما استتر، وهـو أعـدل الخلق في حكومته، وأعلمهم بقضيته. ولما علم أن في الناس من يكون ألطف حيلـة في خصومته، وألحن من خصمه بحجته، وأن الحكم بما ظهر لا بما استتر، قال ﷺ:"إنكـم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من صاحبه، فمن قضيت له شيئًا من مـال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار"(١).

أفلا ترين أن ظاهر القضية حق بما ظهر من حيلة صاحبها ومكره، ثم جعلها بغير

(١) أخرجه البخاري ٥٢ كتاب الشهادات. ورقم ١٧١٣ عن أم سلمة رضي الله عنها.

حق، وأوجب لصاحبها النار بما أبطن من سره وعزمه؟ فلو كـــان ظـاهر الحكـم الإسلامي يدرأ عن صاحبه فساد ما روي عنه من حيلة ومخادعة، لما أوجب له رسـول الله ﷺ النار.

وهكذا صاحبة الخلع التي وضعته في غير موضعه الذي أراد الله عز وجل لـــه. صحيح، ومعناه مردود قبيح.

ومن أوضح الأدلة على بطلان الحيلة في الأحكام، نهى رســـول الله ﷺ عنـــها، ولعن فاعلها. من ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا ترتكبوا ما ارتكـــب اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل"(١)

قال سهل بن عبد الله التستري: من أفتى الناس بالحيلة فيما لا يجـــوز، يتـــأول الرأي والهوى بلا كتاب ولا سنة، فهذا من علماء السوء، وبمثل هذا هلك الأولـــون والآخرون، ولهذا ثلاث عقوبات يعاقب بها في عاجل الدنيا: يبعد علم الورع من قلبه ويضيع منه، وتزين له الدنيا ويرغب فيها ويفتن بها، ويطلب الدنيا تضيعا فلو أعطـــي جميع الدنيا في هلاك دينه لأخذه ولا يبالي.

فإن أفتي مفت، أو احتال ذو رأي بحيلة، فقد جعل مع الخلع الذي وصفه الله عز وجل خلعًا ثانيًا، وحكم حكمًا آخر، وليس يخلو صاحب هذه المقالة أن يكون هـــذا أراد، فقد جعل لنفسه حكما، وشريعة أضافها إلى حكم الله عز وجل وشريعته، وقـــد أحدث في دين الله ما لم يأذن به. وقد قال النبي ﷺ: "من أدخل في ديننا ما ليس منـــه فهو رد" ويزعم أن هذا هو الخلع الذي عني الله عز وجل وأراده. ولمثل هذه البلـــوى أنزله الله على نبيه، فقد أدّعى على الله ما لم يقله، وبهت القرآن، وخالف ما جـــاءت به السنة والجماعة، وأجمع عليه المسلمون.

(١) إرواء الغليل للعلامة الشيخ الألباني رحمه الله (٥/ ٣٧٥)

رأي الأستاذ

الدكتور عبد الفتاح الشيخ

أستاذ ورئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون

جامعة الأزهر السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية في قانون الأحوال الشخصية الجديد

س١: ما هي المخالفات الشرعية في مواد هذا القانون كما ترى؟

– أول تلك المخالفات، ما يتعلق بمادة الخلع، وبغض النظـــر عـــن الأضـــرار الاجتماعية إنما ما يهمني في المقام الأول هو المخالفة الشرعية.

فالخلع ثابت كمبدأ شرعي لإنهاء العلاقة الزوجية وجميع أمهات كتـــب الفقـــه الإسلامي تفرد له بابـًا ضمن أحكام النكاح والطلاق، فأنا أو أي شخص آخـــر لا يستطيع إنكاره، ولكن السند الذي تم الاستناد إليه في هذه القضية من السنة النبويـــة وهو واقعة امرأة ثابت بن قيس لم يعط الأمر في الخلع للقاضي إطلاقا، بل إن الأمـــر فيه كان بيد الزوج.

فالطلاق بأية صورة– وهو خلاف التفريق للضرر– إنما يقع شرعًا بإرادة الـزوج فقط وهو أول الحقوق التي سلبها القانون الجديد منه.

س:٢ ولكن الرسول أمر ثابت بن قيس بتطليق زوجته حينما قال ردي عليـــه الحديقة وطلقها تطليقة؟

هذه نقطة الخلاف، فهناك سؤال وجدل فقهي، هل كان أمر الرسول للرجل أمر إيجاب أي فرض عليه أم أمر ندب وإرشاد؟

والثابت في أمهات كتب الفقه أن أمر الرسول ﷺ كان على ســـبيل الإرشـــاد والتوجيه، ولم يكن على سبيل الفرض والإيجاب لأنه استدعاه وسمع منه ثم أرشـــده للطلاق.

ولو كان للفرض لقرر الرسول طلاقها دون أن يعطي الحق في ذلك للرجل.

وذلك ليس رأيًا خاصًا ولا اجتهادًا شخصيًا لي وإنما أســـتند فيـــه إلى الإمـــام الشافعي وابن حجر العسقلاني والإمام الشوكاني صاحب نيل الأوطار وغيرهم.

وأضع هذه الكتب وغيرها من المراجع الفقهية حكَمًا بيني وبين من أقروا هـــذه المادة بصورتها الحالية.

س٣: إذا كان الأمر بيد الزوج إذ كيف تتخلص المرأة من زوج تكرهه نفســـيًا حتى لا تقع في الفتنة؟

لترفع الأمر إلى القاضي وتثبت تضررها من زوجها فيأمر بالطلاق للضرر ويحفظ عليها مالها ونفقتها أيضا.

س٤: ولكن الكراهية أمر يصعب إتيانه ماديا؟

التشريعات لا تبنى على الأهواء والأمزجة، فإذا كانت تحبه اليوم فهي زوجة لـه، وإن لم يكن أو مالت نحو رجل آخر فتذهب إلى القاضي وتدفع ما قدمه لها زوجـــها وتختلع منه، تلك أهواء شخصية لا يصح إطلاقا أن يقنن لها حكم شرعي.

س٥: وماذا عن احتمال الوقوع في الفتنة؟

هذه هي الصورة الأساسية لحالة الخلع. فهنا يغلب الظن أن لا يقيما حـــدود الله كما ورد في الآية الكريمة والقرآن يقول: "فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جنـــاح عليهما فيما افتدت به".

في هذه الحالة يتفقان معا على أن ترد عليه مهره أو تفتدي بأية صورة ويطلقـــها هو بإرادته لا رغما عنه ولا بأمر القاضي، فحيث لا ضرر فلا طلاق إلا بـــأمر وإرادة الزوج، وحديث رسول الله ﷺ صريح: "الطلاق لمن ملك الساق".

وعلى ذلك نستطيع أن نعتبر تلك المادة بهذه الصورة التي تم الموافقة عليها.. هي

منح المرأة حق الطلاق كما منح الشرع الحق فيه للرجل!! دون إرادته فهل يتفـــق ذلك مع الشريعة الإسلامية؟؟!

س٦: وماذا عن المادة الخاصة بسفر الزوجة؟

قال: أجمع الفقهاء على أن خروج المرأة من بيت زوجها دون إذنه تسقط عنـــه نفقتها.

هذا عن مجرد الخروج من البيت دون إذن فما بالنا بالسفر لأن المرأة في ولايـــة زوجها، فلا يجوز لها أن تخرج من بيتها دون إذنه، فكيـــف تســـافر دون إذن منـــه ويمنحها القاضي هذا الحق؟

س٧: إذا لماذا يعطي الشرع الحق للرجل في السفر رغم ما ستلاقيه زوجته مـــن عنت في بعده عنها؟

د. الشيخ: تستطيع المرأة أن تدفع عن نفسها هذا العنت، وتطلـــب الطـــلاق لضرر من هجر زوجها وهو ما يعتبر مقابلا لحقه في السفر دون إذنها.

وبعيدا عن الحكم الشرعي، لو أن أي رجل أراد السفر وخيرته زوجته بين سفره أو تطليقها أو أخبرته أنها تخشى على نفسها الفتنة في غيابه لما سافر رجـــل دون أذن زوجته.

س٨: ألا يعتبر ذلك تحقيقا للتوازن بين الزوج والزوجة؟

قال: أنا لا أفهم معنى أن القانون يحقق التوازن في المجتمع..

هل سنشرع نحن على الله؟!

إذا كان الله تعالى أعطى القوامة وقيادة الأسرة للرجل وجعل لكل من الرجـــل والمرأة تناسب مع طبيعتهما، فهل ظلم الله المرأة بذلك؟ في نظر هؤلاء المدعين.

ونحن بهذا القانون سننصفها لا حول ولا قوة إلا بالله !!

س٩: أخيرا هل تريد فضيلتكم أن تقول شيئا في هذا الموضوع؟

قال الدكتور الشيخ: أكرر القول لمن وافق على مادة الخلع بصورتها الحالية بيني وبينكم أمهات كتب الفقه الإسلامي، ولا نبغي من وراء ذلك إلا إحقاق الحق والحفاظ على كيان الأسرة المصرية التي أزعم أن هذه المادة لو طرحت للاستفتاء عليها لرفضتها النساء قبل الرجال لخطورتها الاجتماعية قبل مخالفتها الشرعية.